«حزب الله» والتحديات الاجتماعية: الممكن والمتاح

صادق النابلسي *

واجه «حزب الله» خلال السنوات الأخيرة مجموعة من التحديات الداخلية كان لها تأثيرات سلبيّة على صورته العامة وعلى بيئته الحاضنة. الثورة الرقمية ومنطقها وقيمها وسيرورتها وتداعياتها الثقافية المهولة، وحركتها السريعة المحمومة المنعكسة على وسائل التواصل الاجتماعي أتاحت للناس فرصاً لا محدودة من أشكال التفاعل والنقد وإبداء الرأي أحدثت بدورها اضطراباً وإرباكاً وتشوّشاً في البنية النفسية والأخلاقية داخل ساحات مجتمع المقاومة. كما أنّ الاختبارات العسكرية التي خاضها خارج الحدود وخصوصاً في سورية بعد اندلاع الأزمة عام 2011، تركت أثراً في عقلية قيادة المقاومة وسلوكها، وطريقة تفاعلها مع مختلف الكيانات السياسية والاجتماعية الرسمية والأهلية، ثم في أسلوب ترتيبها للأولويات، وآليات صنعها للقرارات المحلية، التي لم تكن لتلاقي في بعضها استحساناً شعبياً، بل تكوّنت لدى الرأي العام المؤيد للمقاومة ملاحظات نقديّة واسعة حول سياسات الحزب الداخلية وأدائه الخجول حيال ملفات تمسّ حبال الأعصاب المعيشية والأمن الاجتماعي. وسواء كانت هذه الملاحظات والانتقادات التي بدأ المناصرون وحتى المنتسبون للمقاومة يدوّنونها على صفحات التواصل الاجتماعي أو يتحدثون بها ويطلقونها في جلساتهم الخاصة ترجع في أساسها إلى حالة سخط واعتراض، أم تنمّ عن مشاعر حرص وحب، أو غير ذلك من الدوافع. وسواء كانت المدوّنات والمنقولات والمداولات وردود الفعل هذه مصيبة ومحقّة في انتقادها وسليمة في سياقاتها، أم قاصرة وعاجزة عن فهم وتفسير الموقف الذي ينطلق منه حزب الله في مواجهته للتحديات، وفي مَن يتحمل المسؤولية على عدم وجود تعليل مقنع أو كافٍ تستوي عليه أفكار ومشاهدات المنضوين والمؤيدين والمحبين؟ فإنّ ما يهمّنا بداية هو الإقرار بوجودها مهما كانت درجة دلالتها ومؤثريتها وطبيعة الدور الذي تؤديه في الواقع الاجتماعي. فالقضايا في عصرنا الراهن ما عاد بالإمكان تناولها سراً أو همساً، أو عزلها عن تفاعلات المجتمع وطرق وأساليب تعبيره عنها والتقنيات التي يوظفها في تشخيصها وتجسيدها.

في هذه المقالة محاولة تريد أن تقترب من طريقة فهم قيادة «حزب الله» لبعض هذه التحديات، وتجيب على أسئلة الناس المنزعجين من تواضع دور الحزب، أو الحالمين بدور أكبر له في الحياة الداخلية، ويطالبونه بعدم الوقوف على الحياد بعد أن حطمت الأحزاب والزعامات والسياسات على مدى العهود الأخيرة كرامة المواطن وأفقدتهم الثقة بالوطن ومستقبل العيش فيه.

فيوماً بعد يوم تزداد الضائقة المعيشية للمواطنين، في وقت تتراكم فيه المسؤوليات والأعباء والاستحقاقات المالية التي ينوء على حملها مَنْ يتقاضى الحد الأدنى للأجور أو لا يجد عملاً في الأساس. فالدراسات تشير إلى أكثر من 30% من اللبنانيين تحت خط الفقر، ومثلهم من المشمولين بحالة الضعف الاجتماعي ما يعني أنّ أكثر من 50% من اللبنانيين يرزحون تحت وضع ضاغط يحمل الطابع المصيري. ولا شك أنّ مثل هذه الأوضاع الحياتية السيئة تفرز مناخاً سلبياً تجعل من الحزب الذي يمتاز بمزيتين لا تتوافر لنظرائه من الأحزاب المحلية وهما القوة الفاعلة المنظمة، والصدق في التعامل مع قضايا الإنسان، بمثابة المؤسسة القادرة على استيعاب وامتصاص مشاعر الإحباط، بل إعادة الأمل إلى المواطن اللبناني في كرامته ولقمة عيشه.

فكل من يعاني من الظروف المأساوية التي لا تحتاج إلى جهد لتأكيدها، ويؤمن بقدرات «حزب الله»، يسأل عن سبب هذا «النأي بالنفس» و«فصل الجبهات» و«التفكيك بين الملفات». فكرامة المواطن من كرامة الوطن، وتحرير الإنسان من تحرير الأرض. لقد أخلى «حزب الله» الساحة لغيره فملأها تجار ولصوص الهيكل وغيلان المال، وأقام الشيطان نظامه بينما (عُزل الله) عن السوق والإدارة والتوظيف وكل القرارات التي من شأنها تصحيح الحياة! فلماذا هذه الفصامية؟ فهو، أي «حزب الله»، تارة في موقع الثورية الشاملة الرافض للاستكبار والمستكبرين، والاحتلال والمحتلين، وتارة أخرى يظهر بمظهر النعامة التي تدفن رأسها في الرمال. ينشد الراحة، ويأنس بالحياد، ويتفرج على العناصر الأكثر تخريباً للمؤسسات والمجتمع ببرودة وسلبية وكأنّ الأمر لا يعنيه! فالشيطان الأكبر والغدة السرطانية والمتوحشون التكفيريون يوجد مثلهم في إدارات الدولة. ولا يكمن خطر في الخارج ولا يوجد مثيل له في الداخل، بل الخطران من سنخية واحدة وكلاهما يجب مواجهتهما بمقاومة صادقة شريفة، ومَن غيره ذو دربة ومهارة وإخلاص يمكن أن ينقل اللبنانيين من الانحطاط والفقر والحرمان إلى دولة العدالة الاجتماعية. إنّ عدم وجود الحزب في ميدان المواجهة المفتوحة مع «السحرة» وصناع الأزمات الاقتصادية، وناهبي المال العام، والتملّص من مشاركة المتظاهرين من عمال وموظفين ومعلمين ومزارعين المطالبين بحقوقهم أمر شديد الغرابة! فما قيمة العمل المقاوم الذي يستهدف تحرير الإنسان من جلازوة المحتلين إذا كان سيبقيه مكبّلاً بأغلال جلاوزة الفاسدين!

ماذا تستطيع هذه الخلاصة أن تقول: إنّه ومهما بلغت تبريرات الحزب في كون مهمته مقتصرة على الفعل الجهادي، فإنّ هذه التبريرات لا تصمد أمام حقيقة بسيطة، من أنّ الناس، هم ناسه ومن كل الطوائف. إنّ الذين ضحّى من أجل كرامتهم، يشعرون بالامتهان. والذين بذل الدماء من أجل عزتهم يحسّون بالذلّة، والذين دفع بكل شبابه من أجل أمانهم وسلمهم وحريتهم وبقاء وطنهم هم مرميون، مسحوقون، محتقرون، يُنظر إليهم من أهل السلطة بازدراء.

وما تقدّم غيض من فيض الأسئلة التي تُطرح على الحزب وتطلب منه علاقة متوازية بين المحتل والفاسد، وأن تستوي عنده الموضوعية في أساس النظرة إلى غاصب للأرض وغاصب للقمة العيش.

وهنا سأسمح لنفسي بالدخول في هذا النقاش محاولاً استكشاف بعض الإجابات من دون أن أدّعي، إدراكي وإحاطتي الكاملة بمقاربة «حزب الله» ونظرته إلى تصحيح الأوضاع الاجتماعية وملفاتها الشائكة، وإنما مشاركة الآخرين في فهم المنطلقات والدوافع والحيثيات التي على أساسها يقوم الحزب بردود فعله ومواقفه، وتقريبها للناس والسائلين والمنتقدين وحتى لمن يبدي، على خلفية موقع الحزب ودوره الخجول من القضايا الاجتماعية، عدائية مكشوفة.

أولاً: يُعرّف الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله المقاومة التي يقودها، بأنها «حركة إيمانية جهادية». ويعني ذلك أنّها حركة لا ينفصل فيها البعد السماوي عن البعد الأرضي، والبعد الجهادي عن البعد الاجتماعي. فوفق المفهوم العقائدي للإيمان، فإنّه لا يكون كاملاً إذا لم يكن المسلم مهتماً وملتزماً قضايا الفقراء والمساكين والمستضعفين. من هنا يرتبط هذا المبدأ ارتباطاً وثيقاً بنبض الإيقاع الداخلي للحزب في مستوياته كافة. وقد جعله ذلك يحمل أحاسيس المعذبين وآلامهم وعذاباتهم، وينشغل بقضاياهم الحياتية والمصيرية، ويسعى بجهده لإنقاذ حياتهم من البؤس وانتشال فئتهم من الغبن، وإخراج وضعهم من الضعف، وإنعاش إمكاناتهم ومقدراتهم العلمية والمهنية. وفي وسع المرء أن يتتبع المسار النظري والعملي للحزب ليكتشف الجهد الذي بُذل على صعيد بناء الأمن الاجتماعي. ويلحظ النزعة الاجتماعية الإنسانية وأسسها الإيمانية الاعتقادية العميقة وتجليها في الأعمال بما هو متاح وممكن.

ثانياً: إنّ الكثير من اللبنانيين يغلقون أعينهم عن واقع فساد السلطة، ويتراجعون عن تحميلها المسؤولية، ولكنهم لا يتأخرون عن لوم الحزب. هذا النوع من التفكير ليس فيه فرار من المسؤولية وتخفيف للنفس عن القيام بواجب التنديد بالواقع المشؤوم فحسب، بل يعكس حالة الانفصام الجماعي التي يرضى معها الناس بالتماهي مع السلطة بكل طيب خاطر من جانب، ويطالبون بالثورة عليها وتغييرها من جانب آخر. إنّ هؤلاء، الذين يلحّون دائماً على الحزب للقيام بخطوات تصعيدية، هم في الأعم الأغلب يتوسلون هذا النحو من الخطاب التعويضي عندما تبدو إرادة تضحياتهم منقوصة، فيلجأون إلى الانتقاد هروباً من العمل الجاد ومواجهة المسؤولية مباشرة.

ثالثاً: بات الناس يتعاملون كم لو أنّ الحزب هو الدولة، أو لديه قدرات سحرية وأسطورية. والناس غالباً ما يخلطون بين قوته في مواجهة العدو الإسرائيلي وقدرته على تغيير الواقع الداخلي. لسان بعض قيادات الحزب يقول: هل المطلوب أن يشغل الحزب كل المجال العام؟ هل المطلوب أن يحلّ محل الدولة؟ هل المطلوب أن يقيم انقلاباً؟ هل المطلوب أن يُنزل جمهوره ليقابله الطائفيون وهم يدافعون عن دفاتر حساباتهم وسُدد كراسيهم بجمهور مضاد؟ هل المطلوب أن يقاتل على الحدود وخارجها ويتظاهر في الشوارع وأزقتها؟ هل المطلوب أن يكون وحده فارس الميدان؟ فلا يغلي في مخيال أحد أنّ «حزب الله» قادر لوحده على كل شيء! هو يعمل على مبدأ «رحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده» فلا تحمّلوه ما لا يحتمل، ثم إنّ إسقاط السلطة الفاسدة واستبدالها بأخرى صالحة أو تشكيل حكومة همها إصلاح الأعطاب الاجتماعية والاقتصادية، تحكمها توازنات الشرق والغرب معاً وتناقضات الطوائف، وتعقيدات المصالح، وتنافرات الزعمات، وصراعات الطبقات النافذة،... إلخ.

لا، ليس المطلوب تكليف الحزب بما هو غير مقدور عليه، ولا تحميله ما لا طاقة له به. وليس المطلوب منه أن يمشي وراء كل مظاهرة كيفما كان بمجرد رفعها لافتة مطلبية. فليس كل مطلب حق يصح أن نجتذب الجماهير إلى الساحات من أجله، في بلد تختلط فيه الأهداف المحقة

الحرب الأهلية اللبنانية «وثوّارها»

أمين نصر *

كثيرة هي الأسماء التي شاركت في حروب لم تكن أوطانها مسرحاً لها، إما بدافع الثروة أو المجد. في حين معظمهم كان ينخرط بدافع الإيمان بقضية وجب بذل الدماء من أجلها والدفاع عنها، وعليه لا يصح تسمية الأشخاص الذين شاركوا في حملات عسكرية أو حروب أو ممن قدم خدمات عسكرية بالمرتزقة نظراً إلى ما تحمله الكلمة من إشارات سلبية تقضي على الجانب الإيماني بقضية سياسية أو دينية كان المحرك الرئيسي للقتال من أجلها.

يعد ملك النروج هارولد الثالث من أشهر الأسماء في القرون الوسطى، بحيث قاتل في صفوف الحرس البيزنطي «الفارانجي»، وهيرنان كورتيز الإسباني الذي أسس للدخول الإسباني للعالم الجديد، وفريدريك فون ستويبين الذي قاتل إلى جانب الأميركيين في الحرب الثورية، وفي التاريخ المعاصر هناك مارك هوري المعروف بنشاطاته العسكرية في إفريقيا، بالإضافة إلى الأميركي روبرت ماكنزي الذي قتل في عام 1995 بعد قيادته وحدات الكوماندوس لدولة سيراليون، من دون أن ننسى إرنستو تشي غيفارا الذي يبقى أيقونة التمرد وملهم الثوار الأزلي وقبلة قادة التحرر العالمية.حلت الذكرى الثانية والأربعون لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في الثالث عشر من نيسان، وبعيداً عن كل تفاصيلها العسكرية وخباياها السياسية، هناك وجه شبه بينها وبين باقي الحروب من ناحية استخدام أحزابها المعنية والمنغمسة في الصراع المقاتلين الأجانب في الميليشيات اليمينة واليسارية على حد سواء. قد يتعذر إحصاء عدد الذين قاتلوا في صفوف الميليشيات، إلا أننا سنتطرق إلى أهم الشخصيات العسكرية التي تركت أثراً كبيراً ما زال حديث قدامى المحاربين من مختلف الميليشيات.

تجدر الإشارة إلى أنه أغلب الأسماء التي سيورد ذكرها كانت مشاركتها نابعة من إيمان بالقضية التي قاتلوا من أجلها وليس بدافع الارتزاق أو تحقيق المجد.

دومينيك بوريلا ـ «الكتائب اللبنانية»:

من أشهر المقاتلين العسكريين الذي حاربوا في الجولة الأولى للحرب، فرنسي الجنسية من مواليد عام 1932. انضم للجيش الفرنسي بعمر الـ18 وقاتل في الهند الصينية ضد الميليشيات الشيوعية في معركة ديين بيين فو الشهيرة. تحول إلى الجزائر التي كانت قد بدأت نزاعها المسلح مع سلطات الاستعمار الفرنسي لنيل الاستقلال، وشارك في حركة التمرد التي قادتها «منظمة الجيش السري-OAS» في الجزائر، وهي تتألف من عناصر يمينية متطرفة احتجت على منح الجزائر استقلالها وكلفته دخول السجن. سافر دومينيك بوريلا بعدها إلى كمبوديا لقتال الشيوعين لفترة وجيزة عاد بعدها إلى لبنان لينضم إلى صفوف القوات النظامية اليمينية التابعة لحزب «الكتائب اللبنانية» لينخرط في قتال الشوارع ضد الفصائل اليسارية والفلسطينية.

لا يوجد الكثير من المعلومات المتعلقة بدومينيك بوريلا إبان فترة مكوثه في لبنان نظراً إلى قصر المدة التي قضاها أو ربما للسرية المطلقة التي أحاطت عمله. عمل مكتب حزب «الكتائب اللبنانية» في قبرص على الاتصال عبر مندوبيه في الأحزاب اليمينية الأوروبية من أجل تأمين وصول المقاتلين المسيحيين الأوروبيين إلى لبنان، وهكذا سافر بوريلا أولاً إلى قبرص ثم انتقل بعدها إلى لبنان بحيث انضم إلى مجموعة سامي خويري وشارك في اشتباكات الأسواق ومعركة القطاع الرابع أو ما بات يعرف بمعركة الفنادق لاحقاً، اختلفت الروايات حول كيفية مقتله في 29 أيلول 1975، لكن أصح الروايات هي بأنه تلقى إصابة قاتلة من قناص حين كان يعاين خطوط التماس على جبهة الأسواق مع بعض «النظاميات»، دفن في مقبرة اللاتين في الفنار.

ثيبوت دي لا توكناي ـ «القوات اللبنانية»:

جندي فرنسي وعضو في الجبهة الوطنية اليمينية ولد في عام 1952 في نويي سور سين غربي باريس، والده هو آلان دي توكناي العضو البارز في «منظمة الجيش السري-OAS» الذي حاول اغتيال الرئيس الفرنسي شارل ديغول في آب من عام 1962 على طريق مطار أورلي.

وصل توكناي في بداية الثمانينيات إلى لبنان، حيث عمل مدرساً في إحدى

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper